ـ « قلت لنفسي إنه لا وقت عندي لغير عملي وجهدي من أجل إعادة بناء وجودي ، وإعادة التكامل لحياتي . ص : ٨٦ » .

يبدأ « جميل » مساره من أجل استرجاع التكامل المفقود ، وهذا المسار لا يحجب عنه صورة الوطن وأصداء الماضي وبؤس شعبه :

ـ « انتشرت أصابع ليلى الصفراء كالحاجز أما عيني . ص ٥٣ » .

ـ « هناك في وطني مليون من الناس يملأون مخيمات اللاجئين ويساورهم القلق على رغيف الخبز . ص : ١٩٩ » .

لا يشير هذا التناقض الى نزوع « البطل » إلى مصالحة الفردي والوطني بل يشير إلى آلية الوهم الذاتي الذي يحاول أن يعطي العلاقة الحقيقية ، لأن هذه العلاقة في شكلها الحقيقي تتحدد في علاقات « جميل » الاجتماعية لا في تصوراته الأثيرية :

« ودارت بي سلمى لتعرفني بضيوفها الآخرين : انكليزيين اثنين ، وأمريكي من سفارة الولايات المتحدة مع زوجته ، وفتاتين شديدتي الحماس عادتا للتو من الدراسة في إحدى الجامعات الأمريكية . ص : ١٠١ » . وتصبح الصورة أكثر وضوحا عندما نعرف الشخصيات الأخرى التي تحدد الحقل الاجتماعي لحركة « جميل » : « سلمى » زوجة رجل إقطاعي ، إمرأة « متأنبة » لا تتحدث إلا بالانكليزية ، أحمد الربيضي رجعي يدافع عن العلاقات القبلية والنظام الملكي ، « عماد النفري » إقطاعي آخر ، يدافع عن كل التقاليد البالية ، « برايان » انكليزي باحث عن حمامات الشرق وسحره ....بالاضافة إلى شخصيات لا ينتجها النص الأدبي إلا كشخصيات فولكلورية تضيء قامة البطل من ناحية وتنطق باسم « التخلف والغياب الحضاري » من ناحية ثانية (حسين ، عدنان ، توفيق ، عبد القادر ..) .

يتحرك « جميل » بين المركز والتخوم ، بين الصفوة و« الصعاليك » دون أن يقارب الجسم الحقيقي للمجتمع . يندمج في المركز ويتكامل ، ويرضي في التخوم رؤيته الاستشراقية و« فضوله الحضاري » . لكن حركته الأساسية تبقى محكومة بالمركز : « ذهبت مرتين أو ثلاثا ، ولكنها لم ترق لي . كل أولئك الناس من كبار الموظفين ورجال النفط والوزراء والدبلوماسيين ، ومن لف لفهم ، واللغة الانجليزية هي لغة الحديث . ص : ٧٦ » .

يدخل « جميل » في تحدده الثقافي والنفسي إلى وسط اجتماعي موافق ، يرى نفسه فيه ويحقق ذاته في حقله . فالوسط الجديد هو مرآته التي يرى فيها مستقبله وحاضره بشكل صاف ، وخاصة أنه يملك الامكانية و« الكمون » للانتقال إلى هذا الوسط والتوائم مع لغته وآفاقه . إن هذه العلاقة بين « البطل » وشرطه الاجتماعي الجديد ليست علاقة اكتشاف وتعرف بل علاقة تواؤم وتوافق وتجانب متبادل .

ينزع « البطل » إلى عالمه الجديد مدفوعا بثقافته وتطلعاته ، لكنه ينزع إليه بسرعة أكبر بسبب أيديولوجيا المقال الروائي التي تجعل انتصار الذات قائما فيها منذ البداية وقبل الممارسة دون اعتبار لأي تحديد اجتماعي وظرفي ودون نظر إلى شكل البداية : « عندما وصلت إلى بغداد